

حكاياتٌ وعبر

الإخراج الفني: طارق يزيك

حكاياتٌ وعبرٌ

ترجمتها بتصرف: د. ميساء ناجي
رسوم: أحمد حاج أحمد

الهيئة العامة السورية للكتاب - منشورات الطفل

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

حول المجموعة

كانت قصص الحيوانات، ولا تزال، تُستخدم على نطاق واسع لعرض كثير من الأفكار المهمّة، ومناقشة كثير من الموضوعات المعقدة، ولاسيما تلك التي تُثير حيرة الأطفال، أو تُوجِّج مخاوفهم، كقضايا الثواب والعقاب والحياة والموت. لقد بيّنت الدراسات الحديثة وجود علاقة غريزية قوية بين الأطفال والحيوانات، تبدأ بأعمار مبكرة جداً، إذ يتعامل الصغار مع الحيوانات بمزيد من التعاطف، ويتفاعلون معها بصورة أكثر إيجابية مقارنةً بالبشر.

وعلى الرغم من أن بدايات قصص الحيوانات كانت تهدف إلى مساعدة الأطفال في إتقان القراءة، وإجراء العمليات الحسابية البسيطة، وتعلُّم اللغات، لكنها سرعان ما تحوّلت إلى أداة فعّالة لفهم الحياة بمختلف ظروفها وتحدياتها، وتَشْرِبُ القيم الاجتماعية والإنسانية منذ مراحل الطفولة المبكرة.

تمنح قصص الحيوانات الأطفال إحساساً قوياً بالاستقرار في عالم شديد التغيُّر والإرباك، وتعزِّز لديهم حبّ الطبيعة والجمال، وتحثُّهم على الاهتمام بالحيوانات.

السُّلْحَفَةُ الثَّرثَارَةُ

لَمَّا اسْتَيْقَظَت السُّلْحَفَةُ الثَّرثَارَةُ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْجَمِيلِ، أَخَذَتْ تَتَلَفَّتْ حَوْلَهَا بِتَكَاسُلٍ، وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ بِامْتِعَاضٍ شَدِيدٍ. شَرَعَتْ فِي التَّمَطُّطِ بِاسْتِرْخَاءٍ، وَهِيَ تُخْرِجُ رَأْسَهَا الصَّغِيرَ مِنْ قَوْعَتِهَا الْعَمَلَاقَةَ، قَائِلَةً بِسَخَطٍ كَبِيرٍ:

مَا الَّذِي دَعَانِي إِلَى الْإِسْتَيْقَاطِ مَبَكَّرًا فِي هَذَا الْيَوْمِ الْبَارِدِ، وَقَدْ غَطَّ الْجَمِيعَ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ؟ كَانَ مِنَ الْأَجْدَى لِي أَنْ الْأَزْمَ مَسْكَنِي الدَّافِئِ فِي هَذَا الصَّبَاحِ الْخَرِيفِيِّ الْكَثِيبِ.

نَظَرْتُ بِلَا اكْتِرَاطٍ إِلَى السُّهُولِ الْمَتْرَامِيَّةِ عَلَى مَدِّ الْبَصْرِ، وَتَأَمَّلْتُ بِاسْتِخْفَافِ الْهَضَابِ الْمَمْتَدَةِ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ، كَأَنْ شَيْئًا لَا يَعْنِيهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الْآسِرِ. وَأَخَذْتُ تَفْتَشُّ بِعَيْنَيْهَا الْمُثْقَلَتَيْنِ عَنْ شَيْءٍ جَدِيدٍ يَثِيرُ الْإِهْتِمَامَ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ الرَّتِيبَةِ الَّتِي اعْتَادَتْ أَنْ تَعِيشَهَا مِنْذُ عَشْرَاتِ السَّنِينَ.

لَمْ تَكُنِ السُّلْحَفَةُ الْعَجُوزُ بِطَبْعِهَا كَثِيرَةَ الْكَلَامِ فَحَسَبَ، بَلْ كَانَتْ أَيْضًا دَائِمَةً التَّدْمُرُ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْضِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ الرَّائِعَةِ الَّتِي يَزْخُرُ بِهَا هَذَا الْمَكَانُ السَّاحِرُ. هَا هُوَ ذَا خَرِيرِ الْمَاءِ الرَّتِيبِ يَهْدِرُ مِنْ بَعِيدٍ دُونَ كُلِّ أَوْ مَلَلٍ، وَهِيَ هِيَ ذَا حَفِيفِ الْأَشْجَارِ الْوَارِفَةِ يُضِيفُ إِلَى السُّكُونِ الْقَاتِلِ مَزِيدًا مِنَ الْكَأَبَةِ، وَهِيَ ذِي نَسَمَاتِ الصَّبَاحِ الْبَارِدَةِ تَثِيرُ الْقَشْعِرِيرَةَ فِي الْأَبْدَانِ. هَذَا مَا كَانَ يَدُورُ فِي رَأْسِهَا الصَّغِيرِ، وَهِيَ تَخَاطَبُ نَفْسَهَا بِكَمَدٍ شَدِيدٍ، قَائِلَةً:



أفُّ لهذا المكان البغيض، فكل ما فيه يبعث على الضجر، ولا سيما
لعجوز طاعنة في السن مثلي.

هذا هو حال السلحفاة الثرثارة التي لم تتوقف يوماً عن التذمر وعن
رثاء نفسها، إلا أن أكثر ما كان يثير حنقها هو ذلك الصندوق العظمي
الثقيل الذي تحمله على ظهرها أينما ذهبت، وكيفما اتجهت.

فجأة، لمعت في رأسها الصغير فكرة لافتة، فسارعت إلى تنفيذها في
الحال، وهي تقول لنفسها بانسراح بالغ:

ليس ثمّة أفضل لمخلوقٍ ثقيل الوزن مثلي من السباحة بخفة في الماء
العذب! في الماء فقط، أتحرر من ذلك الإحساس المقيت ببطء الحركة
وضخامة الجسد.

وسرعان ما توجهت السلحفاة العجوز إلى النهر العميق، وهي تجر
جسدها الواهن على مهل، وما هي إلا بضعة لحظات، حتى لمحت الأرنب
البري، وهو يقفز بسعادة. صاح الأرنب الرشيق من بعيد، مخاطباً جارته
العجوز:

صباح الخير يا جارتى العزيزة! هل ترغبين في المشاركة في سباق
الغابة الموسمي؟ لا تُفوتني عليك الفرصة، فالجميع ينتظر المشاركة بفارغ
الصبر.

نظرت إليه السلحفاة العجوز بضيق شديد، وقالت:

لن أستطيع مجاراتك أيها الأرنب المحتال، فأنا مخلوقٌ بطيء جداً،
وليس لي مكانٌ في سباقات الغابة المقيتة.

أجاب الأرنب بخجل، وقد أحزنته قلة انتباهه:



يؤسفني سماع ذلك يا جارتى العزيزة، لكننى أتمنى أن تقضى يوماً
جميلاً على أي حال. إنه يومٌ رائعٌ حقاً، ويستحق الشكر والامتنان.

نظرت السلحفاة العجوز إليه بحسرةٍ وامتعاض، ثم تابعت مسيرها
على مهل.

لم يمضِ كثيرٌ من الوقت، حتى لمحت من جديد سنجاباً رمادياً صغيراً
يقفز بنشاطٍ عجيب بين الأغصان. تنبّه السنجاب اللطيف للسلحفاة
العجوز، فصاح بصوت أليف:

صباح الخير يا جارتى العزيزة! إنه حقاً يومٌ جميلٌ كبقية أيام الخريف
الداфئة في هذا المكان البديع. هل ترغبين في اللعب بعض الوقت؟

رمقته السلحفاة العجوز بضيقٍ وكمد، وأجابت في الحال:

هل تعتقد أنّ عمري ووزني يسمحان لي باللعب معك أيها السنجاب

الحنق؟!

نظر إليها السنجاب الصغير بخجلٍ، وقد أربكه سوء تقديره، وقال:

يؤسفني سماع ذلك يا جارتى العزيزة، لكننى أتمنى أن تقضى يوماً
جميلاً على أي حال. إنه يومٌ رائعٌ حقاً، ويستحق الشكر والامتنان.

ثم قفز بلمح البصر إلى أعلى الشجرة العملاقة، وغاب عن الأنظار.

لما اقتربت السلحفاة العجوز من حافة النهر العظيم لمحت سرباً
من الطيور الضخمة يُحلّق في السماء. مطّت رقبتها إلى الأعلى سريعاً،
وصاحت باهتمام بالغ:

صباح الخير أيتها البجعات الرشيقات! إنه يومٌ رائعٌ حقاً للقيام بكثير
من الأنشطة.



ثم أردفت بحُرقة، وهي تنظر إلى الأفق البعيد: لكنني، للأسف الشديد، لا أستطيع الطيران.

نظرت إليها البجعات الطيبات بحزن شديد، وقد استشعرت مدى تعاسة السلحفاة العجوز، وحطت على الأرض الرطبة في الحال.

سارعت إحدى البجعات إلى القول بحماس: هل ترغبين في الطيران حقاً أيتها السلحفاة الطيبة؟!

أجابت السلحفاة من فورها، وهي لا تصدق أذنيها لما سمعت هذا العرض السخي:

بالتأكيد، أتمنى أن أقوم بتلك الرحلة الرائعة في يوم من الأيام، لكن هذا محال.

وما هي إلا بضعة لحظات، حتى التقطت إحدى البجعات عوداً خشبياً غليظاً، وأحكمت تثبيته بمنقارها البرتقالي القوي مشيرة إلى بجعة أخرى كي تقوم بالمثل. نظرت السلحفاة العجوز إليهما بدهشة، وهي تستمع دون تصديق إلى قول البجعة الشجاعة:

هيا معنا في هذه الرحلة الفريدة! ليس عليك إلا الإمساك بإحكام تامً بمنتصف هذا العود الصلب، وعلينا نحن مهمة التحليق عالياً في السماء، فهل أنت مستعدة للقيام بهذه الرحلة الطريفة؟

لم تتردد السلحفاة العجوز لحظةً واحدةً في قبول هذا العرض المدهش، وسرعان ما حلقت في الفضاء بصحبة البجعات القويات. كان شعوراً رائعاً لم يُراودها في يوم من الأيام، وهي المخلوق البليد الذي لم ترتفع أقدامه الغليظة عن الأرض قيد أنملة. أخذت السلحفاة العجوز

تتحسّر على حالها كما اعتادت، وهي ترمق بذهول تلك المناظر الآسرة، وترقب بحسرة مخلوقات الأرض الجميلة تسعى بلا هوادة. ولم تستطع السلحفاة الثرثارة، حتى في أجمل لحظات الحياة وأكثرها تحدياً، أن تمسك نفسها عن الكلام، فصاحت بأعلى صوتها:

يا للروعة!

لكنها لم تكمل قولها هذا، حتى هوت بسرعة كبيرة إلى الأرض البعيدة، وقد أصابها الهلع الشديد.

ارتطمت السلحفاة الضخمة بالأرض الندية بقوة، وغابت عن الوعي في الحال، وهي تسمع من بعيد أصوات البجعات الفزعاءات تسأل باضطراب، وقد راعها المشهد الأليم:

هل أنت بخير أيتها السلحفاة الطيبة؟!

فتحت السلحفاة المسكينة عينيها ببطء شديد، ونظرت إلى الطيور الهلعة بدهشة عارمة، ثم قالت:

لا أصدق أنني لا أزال على قيد الحياة.

ثم أخذت تتمطط بحذر كبير، وهي تتفحص أجزاء جسدها المنهك، وتُردد دون توقُّف:

الحمد لله أنني لم أصب بأي ضرر. إنه حقاً أمرٌ عجيبٌ لا أستطيع تفسيره.

أجابت إحدى البجعات مُشجعةً، وقد تنفّست الصعداء:

إنه ذلك الصندوق العظيم الذي يحمي جسدك الضعيف أيتها

السُلحفاة العزيزة! لقد أنقذك هذا الصندوق الضخم من هلاكٍ مُحتمٍ.
إنه يستحق منك كل الشكر والعرفان.

استطاعت السُلحفاة العجوز أن تنهض أخيراً بمساعدة البجعيات
الطيبات، وأخذت تخطو من جديد، وهي تخاطب نفسها بامتنان:

لم أعتقد يوماً أن كوني سُلحفاةً بليدةً في صندوقٍ عظيمٍ ثقيلٍ هو حقاً
أمرٌ عظيم. لن أتدمر بعد اليوم أبداً، فأنا كبقية المخلوقات كائنٌ جميلٌ
يستحقُّ كلَّ تقدير.

ثم انطلقت نحو منزلها الدافئ في الأدغال البعيدة، وهي تسير على
مهلٍ شديد، وعلاماتُ الرُّضا باديةٌ عليها.

لم تنسَ السُلحفاة العجوز يوماً صديقاتها البجعيات المخلصات اللاتي
اعتدنَ زيارتها بين الحين والآخر، ولم تُفارقُ رأسها الصغير تلك الرحلةُ
الآسرة التي غيّرت حياتها أعظمَ تغيير.

بين الرّيف والمدينة

لمّا عقد فأر المدينة العزم على زيارة ابن عمّه الذي يسكنُ الرّيفَ المجاور، كان قد مضى وقتٌ طويلٌ منذ أن التقى الفأران في إحدى الأمسيات العائلية الدافئة. كان الفأران لا يفترقان أبداً منذ نُعومة أظافرهما، حتى قرّر أحدهما أن يغادر الرّيف دون رجعة، متوجّهاً نحو المدينة. لقد آثر فأر المدينة آنذاك حياة الترف، متناسياً الأيام الرائعة التي قضاها في كنف الأسرة الحنون وفي صحبة الأصدقاء الأحباء، لكنه في ذلك اليوم الخريفي الدافئ استرجع بعض ذكريات الطفولة المبهجة، وقد أتعبه صخب المدينة القاتل وتلوّثها المُهلك، فقرّر دون تردّد التوجّه إلى الرّيف في زيارةٍ خاطفة.

أمّا فأر الرّيف البسيط فقد كان يعيش عيشةً هنيئةً، مسروراً بتلك الحياة الوديعة التي يقضيها في الرّيف البديع. كان فأر الرّيف يستيقظ كل صباح ليشهد من بعيدٍ أبنية المدينة الشاهقة، وقد أحاط بها الضباب الخانق، وانطلقت الأدخنة الكثيفة من آلاف المداخن الشامخة، بل إنه كان في كثيرٍ من الأحيان يسمع أصوات أبواق المركبات المُرهق، ويشتم رائحة الوقود المحترق، وهو ينبعث من عوادمها المُجهدّة.

كان فأر الرّيف ينظر بألم إلى تلك المظاهر القاسية التي أخذت تُدمر دون رحمة معالم الطبيعة الآسرة، ويأسف كل صباح على ما آلت إليه حياة ابن عمه الغافل الذي فضّل رَغد العيش على نقائه.



لَمَّا اقْتَرَبَ فَأَرَّ الْمَدِينَةَ مِنْ مَنْزِلِ ابْنِ عَمِّهِ الْقَابِعِ فِي جَدْعِ شَجَرَةِ
الزَيْتُونِ الْكَهْلَةِ، ابْتَسَمَ بِغَبْطَةٍ، وَهُوَ يَسْتَذَكُرُ الْأَيَّامَ الْخَوَالِيَّاتِ الَّتِي عَاشَهَا
بِسَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ تَحْتَ ظِلَالِهَا الْوَارِفَةِ بِصَحْبَةِ الْأَهْلِ وَالْأَصْدِقَاءِ، وَمَا هِيَ
إِلَّا لِحْظَاتٌ مَعْدُودَاتٌ، حَتَّى صَاحَ فَأَرَّ الْمَدِينَةَ بِحِمَاسٍ، وَهُوَ يِعَانِقُ ابْنَ عَمِّهِ
الْوَاقِفَ عَلَى عَتَبَةِ الْمَنْزِلِ بِكُلِّ شَوْقٍ وَمَحَبَّةٍ:

تَبَدُّوْا فِي أَحْسَنِ حَالٍ يَا بَنَ عَمِّي الْعَزِيزِ مِنْذُ أَنْ تَرَكْتَكِ آخِرَ مَرَّةٍ فِي هَذَا
الْجَحْرِ الصَّغِيرِ.

أَجَابَهُ فَأَرَّ الرَّيْفَ الْمُبْتَهَجَ بِصَوْتِ جِيَّاشٍ:

كُلُّ شَيْءٍ مُتَوَافِرٌ هُنَا. لَا يَنْقُصُنِي إِلَّا لِقَاؤُكَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْغَالِي!

وَأَرْدَفَ قَائِلًا، وَهُوَ يَدْفَعُ ابْنَ عَمِّهِ بِرَفْقٍ إِلَى الدَّخْلِ:

لَعَلَّكَ لَمْ تَنْسَ إِحْضَارَ بَعْضِ الْمَلَابِسِ الصُّوفِيَّةِ السَّمِيكَةِ، فَالطَّقْسُ هُنَا
أَكْثَرَ بَرُودَةً فِي الْمَسَاءِ كَمَا تَعْلَمُ.

لَمْ يَسْتَطِعْ فَأَرَّ الْمَدِينَةَ إِخْفَاءً دَهْشَتَهُ الْعَارِمَةَ، وَهُوَ يَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ مَتَأَمَّلًا
أَرْكَانَ الْمَنْزِلِ الْعَتِيقِ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَى حَالِهَا مِنْذُ أَنْ غَادَرَ الْمَكَانَ، ثُمَّ سَأَلَ
مَسْتَنْكِرًا:

أَلَا تَرَى أَنَّ عَلَيْكَ الْإِنْتِقَالَ مِنْ هَذَا الْجَحْرِ الْبَغِيضِ فِي الْحَالِ لِلْعَيْشِ
مَعِي فِي شَقَّتِي الْفَارِهِةِ حَيْثُ الدَّفَاءُ الْعَارِمُ وَالطَّعَامُ الْوَافِرُ؟

أَجَابَهُ فَأَرَّ الرَّيْفَ دُونَ تَرَدُّدٍ، وَهُوَ يَضْحَكُ بِطَبِيعَةٍ وَعَفْوِيَّةٍ:

شُكْرًا لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الصَّادِقَةِ، لَكِنِّي لَنْ أَفَارِقَ هَذَا الْمَكَانَ أَبَدًا. هُنَا
مَسْقُطُ رَأْسِي، وَهَذَا هُوَ مَوْطِنِي.



في تلك اللحظة بالتحديد غَطَّ حذاء الضيف المُتَأَفِّفِ في بقعة ضحلة من الطين توَسَّطت المنزل المتهالك، فاحمرَّ وجه فأر الريف خجلاً، وهو يرى الحذاء الثمين مُلَطَّخاً بالطين، وعلامات الغضب الشديد باديةً على وجه ابن عمه الذي حاول جاهداً كَبَّتْ غيظه، وهو يقول:

تلك واحدة من مساوئ العيش في الريف، وما أكثرها يا بن عمي المسكين!

لكنَّ فأر الريف الطيب سارع في القول، مُدافعاً، وهو يُحاول التخفيف من مُصاب ضيفه المُتَعَجِّرف:

للعيش في الريف الجميل مزيات كثيرة أيضاً، وسوف تكتشف ذلك بنفسك في الأيام القليلة القادمة يا بن عمي العزيز!

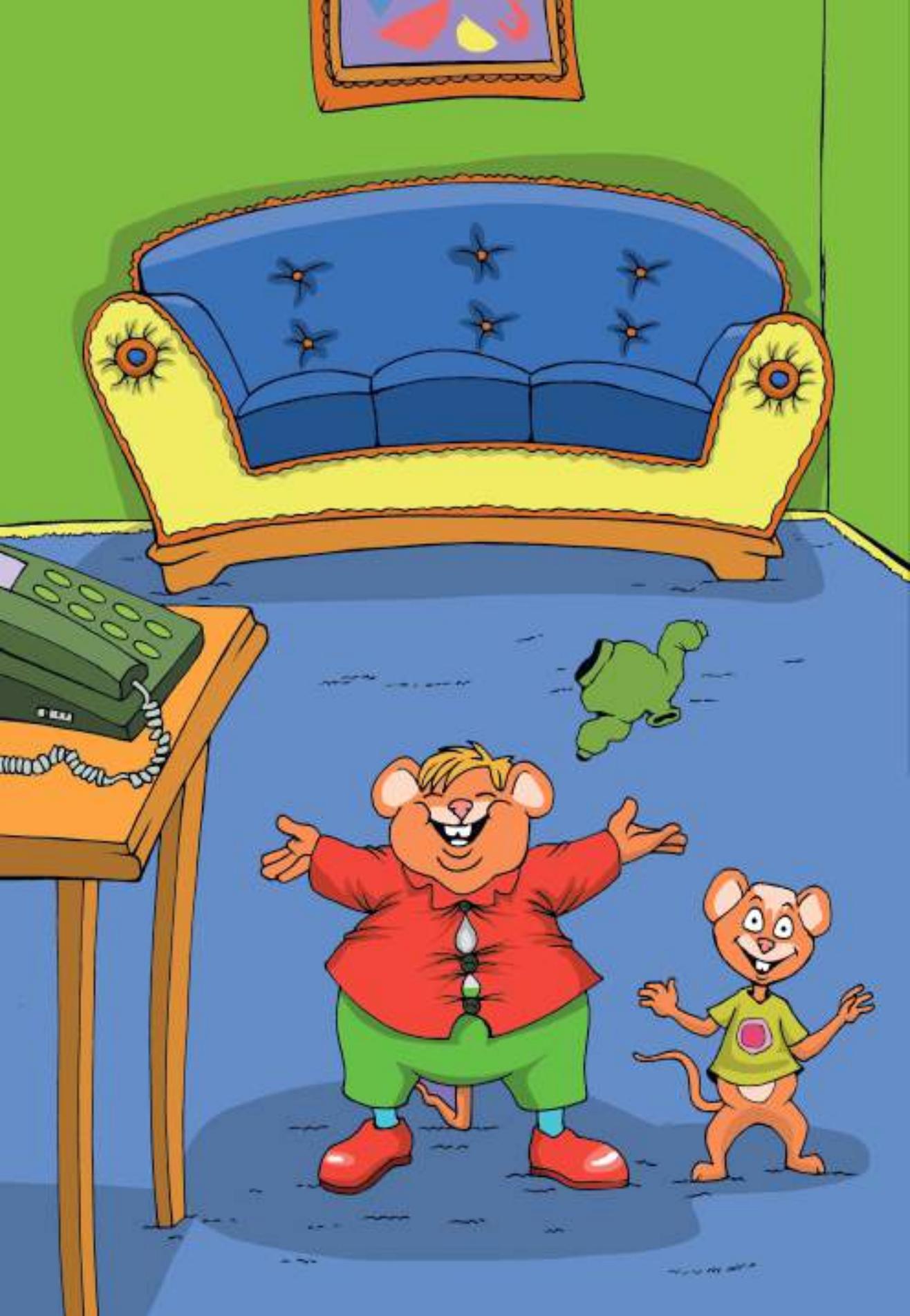
لم يكن على مائدة العشاء البسيطة إلا بضع قطع من الجبن المنزلي، وبعض الحليب الدافئ والتوت البري الطازج. حينها سأل فأر المدينة الساخط، وقد أثار حنقه رضا ابن عمه الذي لا يُحتمل:

هل هذا ما تأكله على العشاء كل مساء؟! أتناول أضعافاً مضاعفةً من مختلف أصناف الطعام، وأرغب كل يوم في المزيد، فكيف يمكنك البقاء على قيد الحياة، وأن تسد رمقك بهذا الزاد الزهيد؟!

ابتسم فأر الريف، وهو يستمع بصبرٍ منقطع النظير إلى قول ابن عمه الذي أفسدته رفاهية المدينة وسعة العيش، ثم قال:

تفضّل وكلّ يا بن عمي العزيز! لا تنسَ أن الإسراف في الطعام يُضِرُّ الصحة، ويُحبِّطُ الهمة. طعام الواحد يكفي اثنين بالمحبة والرضا.

ثم أردف، وهو يبتسم بحياءٍ شديد:



لعلّ هذا هو سببُ زيادةِ وزنك وبُطءِ حركتك، وقد عهدتك رياضياً بلا مُنازع.

مضى الوقت سريعاً بعكس توقُّعات فأر المدينة الذي استمتع كثيراً بصحبة ابن عمه الطيب وبقية أصدقاء الطفولة الذين عملوا جاهدين على إسعاد ضيفهم العزيز على الرغم من بساطة العيش وقلة الحال. كان كلُّ شيء من حوله رائع الجمال، ويستحقُّ الشكر، فما هي ذي السهول الخُضرُ على مدِّ النظر، والأشجار الباسقة تزخر بالثمار اليانعة، والطيور لا تتوقف عن التغريد والتحليق، والماء العذب يتفجر من بين الصخور، والنسائم العليلة تنعش الأجسام، وتشحن الأذهان، لكنَّ فأر المدينة كان مُصمِّماً على إحراج ابن عمه الودود، حتى الرmq الأخير، لمّا دعاه إلى زيارته في القريب العاجل.

لم يدرك فأر الريف الطيب نيّة ابن عمه الخبيثة، وانطلق في غضون أسابيع قليلة إلى المدينة مُلبياً دعوته. كان الوصول إلى المدينة شاقاً على الرغم من قربها الشديد، وقد وَجَبَ على فأر الريف أن يتلفّت حوله باستمرار، وهو يحدق مرتاعاً إلى المركبات القادمة من بعيد، تنطلق كالأسهم النارية في كل اتجاه، مطلقاً العنان لأبواقها الصاخبة. لقد بدا الجميع في عجلة من أمرهم، وعلى وجوههم معالم التوتر الشديد، كأنَّ كارثةً توشك أن تقع.

تنفّس فأر الريف الصعداء لمّا وصل أخيراً إلى مدخل البناء الذي يسكنه ابن عمه الحبيب، لكنَّ فرحته لم تُطلْ لمّا اكتشف مدى ارتفاع ذلك البناء الشاهق، وقد أحاطت به غمامة سوداء تكتم الأنفاس. كذلك كان حال جميع الأبنية الضخمة التي تعجُّ بها المدينة المكتظة بالسكان،

فلم يلمح فأر الريف شجرةً خضراء، ولم يسمع تغريد عصفور، وسرعان ما نسي تلك المعالم المؤلمة جميعها، وهو يعانق ابن عمه الغالي الذي بدا أكثرَ بدانةً وأقلَّ لياقةً عمّا كان عليه منذ أسابيع قليلة.

كان المنزل فسيحاً، وكانت قطع الأثاث الضخمة كثيرة في المكان، وهذا ما دفع فأر المدينة إلى التعليق بدهاء، وهو يلمح نظرات الدهشة على وجه ابن عمه الطيب:

ذلك أفضل بكثير حين تضطُّرك الظروف إلى الهرب أو الاختباء يا ابن عمي العزيز!

بدت علامات الحيرة على وجه فأر الريف البسيط، ولم يدرك حينها مقصد ابن عمه المخيف، بل استمرَّ في التلُّفت يمنةً ويسرةً، محاولاً تعرُّف ذلك المكان النفيس. كانت أرضية المنزل مغطاةً بالسجاد الفاره، فاضطَّر إلى أن يخلع نعليه عند عتبة الباب. ولأنَّ المنزل كان دافئاً إلى أبعد الحدود، فقد كان عليه أيضاً أن يخلع معطفه الصوفي السميك لأول مرة في هذا الشتاء البارد، وكما اعتاد دوماً، سارع فأر المدينة إلى التعليق، قائلاً:

أليس من الروعة أن تشعر بالدفء في فصل الشتاء البارد، وأن تتحرَّك بخفة دون تلك الأحمال الثقيلة من الصوف الغليظ؟

هزَّ فأر الريف رأسه بحسرة، وهو يتذكَّر منزله الرطب أسفل شجرة الزيتون العملاقة، لكنه سرعان ما ابتسم مخاطباً نفسه:

«لم أشعر يوماً ببرد الشتاء اللاذع، وأنا أتدثر بذلك الغطاء الصوفي الجميل الذي حاكته لي أمي العطوف بأناملها الرقيقة».

كان مطبخ المنزل يزخر بالطعام اللذيذ من شتى الأنواع والألوان،

حتى كاد فأر الريف يستسلم لمحاولات ابن عمه المتكررة إقناعه بالانتقال إلى المدينة.

صاح بأعلى صوته، وهو يقفز عالياً إلى مائدة الطعام التي توسّطت المطبخ:

يا إلهي! كم هي شهية تلك القطعة الكبيرة من الحلوى!

سارع فأر المدينة إلى الردّ، وقد شعر بأنه شارف على الانتصار في معركته الخفية مع ابن عمه العنيد:

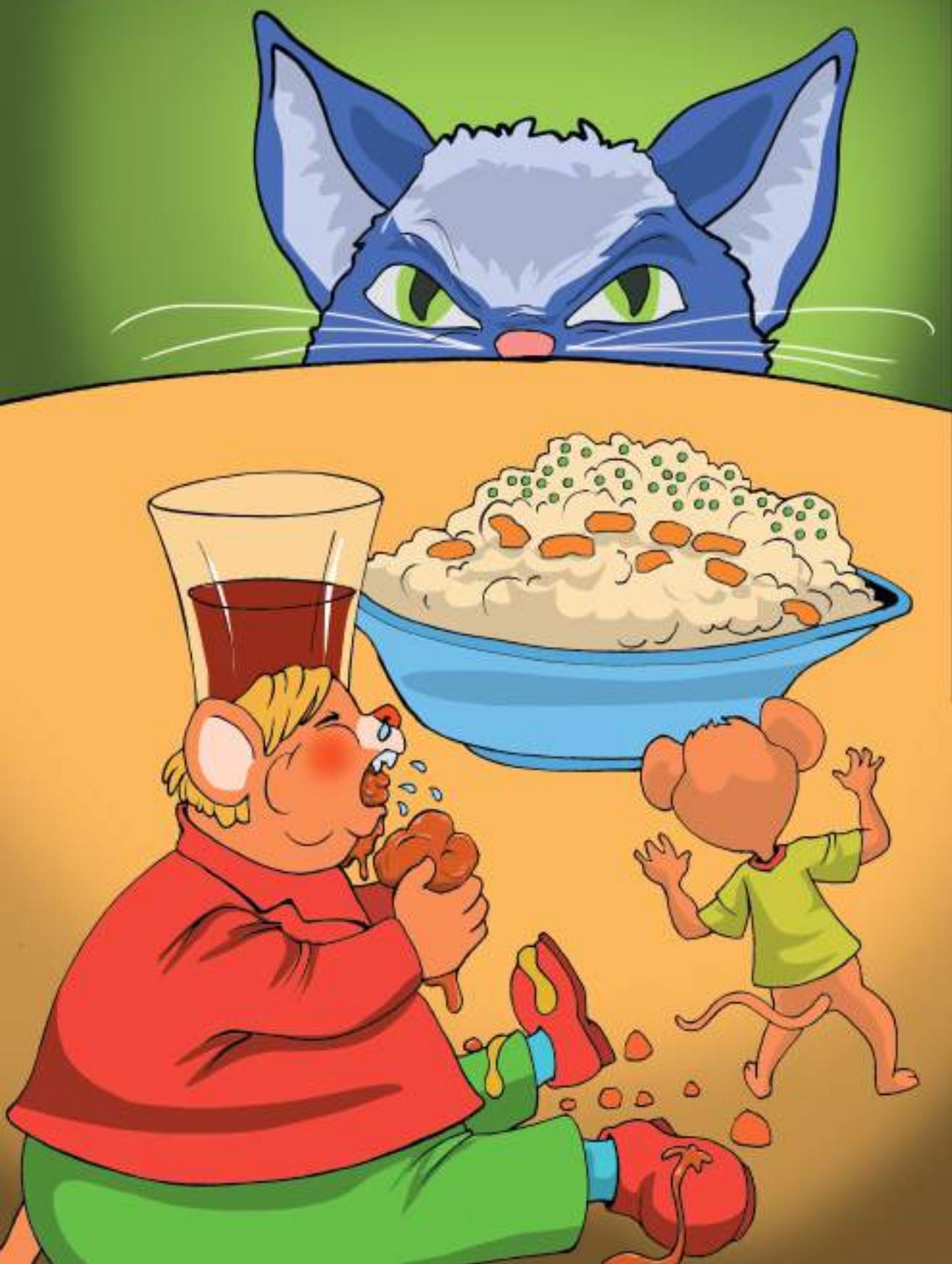
يمكنك أن تأكل ما تشاء من هذه المائدة العامرة، فهي ليست إلا بقايا طعام فطور الأسرة لهذا اليوم. لقد غادروا جميعاً على عَجَلٍ، كما هو الحال دوماً، ولن يعودوا قبل حلول الظلام.

لم يكمل فأر المدينة جملته، حتى بدأ الاثنان بالتهام الطعام الشهي، كأن مجاعة قد حلتّ بالبلاد، وأخذوا يتقاذفان بقطع الفاكهة الطازجة، وهما يركضان بين الصحون والأكواب، وفأر الريف يصيح ضاحكاً:

أظنُّ أنني سأسعد في الحياة هنا يا بن عمي الحبيب! متى يمكنني الانتقال للعيش معك في هذا المكان البديع؟

لكنّ فرحتهما لم تكتمل، وسُرعان ما تَسَمَّرَ فأر المدينة في مكانه دون حراك، وقد شحب لونه، وتسارعت ضربات قلبه. من ورائه، وقف فأر الريف في حيرة من أمره، وهو لا يدرك ما أصاب ابن عمه العزيز، وقد كان في أحسن الأحوال منذ لحظات.

لم تستمر حيرته طويلاً، وسرعان ما تجمّد الدم في عروقه، وهو يلمح عينيّن برّاقتين تقدحان بالشّرر عند حافة المائدة البعيدة. لم يشعر



الفأران، وهما في غمرة السعادة والانفعال، باقتراب قُطَّ المنزل الخبيث خفيةً، وهو يرقبهما على مضض، ولسان حاله يقول:

«لن تطول فرحتكما كثيراً أيها الفأران ما دمت حارسَ هذا المنزل الأمين».

وسُرعان ما انقضَّ عليهما، مُكشراً عن أنيابه الحادة، ومُبرزاً مخالبه القوية، وهو يهدر بصوتٍ مخيف:

لعلَّك لن تتعلَّمِ الدرسَ أبداً أيها الفأر المزعج! كأنك تنسى أنني لك بالمرصاد دوماً، وأنتَ لن تسعد يوماً بالطعام الشهِّي ما دُمتُ حياً.

وما هي إلا دقائق معدودات، حتى تحوَّل المكان الأنيق إلى خراب، ولم يتبقَّ من الصحون والأكواب الثمينة إلا الحطام، وقد تناثر الطعام اللذيذ في أرجاء المطبخ النظيف الذي تحوَّل بلمح البصر إلى ما يشبه مكبَّ نفايات.

لم يتذكَّر فأرُ الريف بعدها كيف استطاع الإفلات من براثن ذلك القُطِّ الشرس، ولم يدرك قُطُّ كيف وصل إلى منزله الصغير القابع في جذع شجرة الزيتون الكهلة، لكنه لم يتوقَّف منذ ذلك الحين عن الرضا بواقعه، وعن الفرح بنعمة العيش في سلام وأمان.

التمساحُ والقرد

في جزيرة بعيدة جداً، عاشت مجموعة كبيرة من قروود الكابوتشي في سلام وهناء. كان أصغرهما سنّاً هو أكثرها جرأةً وفطنةً وحيويةً، وهذا ما جعله محبوباً جداً بين أفراد قبيلته جميعاً. عاشت مجموعة القروود تلك باكتفاء تامّ، وهي تنعم بأطيب الثمار وبأشجار وارفة تحميها، وتستظل بها. في أحد الأيام الربيعية المطيرة، ارتقى تمساحٌ ضخّم ضفة النهر الغزير بهدوءٍ شديد، وأخذ يرقب بسكونٍ مخيف صغار القردة، وهي تقفز بخفةٍ ومرح بين الأشجار. لم يكن التمساح العملاق شريراً بطبعه، ولم يفكر لحظةً واحدةً في أن يلحق الأذى بالقردة الصغار الذين لا ذوا بالفرار لحظة اقترابه، أمّا القرد الصغير فلم يشعر بالخوف قط، بل اقترب بحذر شديد من التمساح الجاثم بثبات على الأرض الرطبة، وسأله بلا تردّد:

ماذا تفعل هنا أيها الغريب؟!

أجابه التمساح، وقد أصابه الحزن الشديد:

لم أقصد إخافتكم أيها الصغار، لكنني جائعٌ جداً، وأبحث عن طعام أسدُّ به رمقي.

في الحال، اختفى صغار القردة جميعاً عن الأنظار، وقد شعروا بالخطر يُهدّد حياتهم بعد أن صرّح التمساح المخيف بأنه جائع، لكنّ تصرّيح



التمساح العجوز لم يمنع القرد الجريء من الاقتراب أكثر فأكثر، حتى بات على مرمى حجر أو أدنى من التمساح الرهيب، وسرعان ما أردف التمساح العملاق موضحاً:

أنا جائعٌ حقاً، لكنني لا أحب لحم القروود أبداً، فهل لديك فكرة أفضل أيها الصغير؟!

بلمح البصر، قفز القرد الصغير إلى أعلى الشجرة، وأجاب ضاحكاً:

لديّ هنا كثير من الفاكهة حلوة المذاق، فهل ترغب في بعضها؟

ثم أخذ يُلقي بالثمار اليانعة إلى التمساح الحائر الذي أخذ يلتقطها واحدة تلو الأخرى، وعلى الرغم من أن التماسيح لا تأكل الفاكهة، إلا أن التمساح العجوز كان جائعاً جداً، فأقبل على تناولها بنهم شديد. وأمام دهشة القردة الصغار، صاح القرد الجريء، مخاطباً التمساح العملاق:

أليست لذيذة تلك الفاكهة اليانعة أيها التمساح الجائع؟! ليس عليك إلا أن تعود إلينا كلما أردت المزيد.

ما كان من التمساح العجوز إلا أن غاص عميقاً في مياه النهر المتدفق، وغاب عن الأنظار بعد أن ملأ جوفه الخاوي منذ أيام.

تكررت زيارات التمساح العملاق للقرد الصغير الذي كان يحتفظ له كل يوم بما لذ وطاب من الثمار، ولم يمض من الوقت إلا القليل، حتى أصبح الاثنان لا يفترقان، وهما يتبادلان الأحاديث الشائقة، ويتناقلان الأخبار الطريفة، وعلى الرغم من أن التمساح العجوز كان يأخذ لزوجه في كل مرة كثيراً من الفاكهة اللذيذة إلا أن ذلك لم يُرضها قط. لم تكن زوجة التمساح العجوز طيبة القلب كزوجها، بل كانت تُفكر في نفسها دائماً، وتقول:



«كم هو حلوٌ مذاقُ قلب ذلك القرد الصغير الذي لم يتوقَّف يوماً عن تناول تلك الثمار اللذيذة!».

وفوق ذلك، فقد أصابت الغيرة القاتلة زوجة التمساح الطيب الذي أخذ يقضي جُلَّ وقته بصحبة القرد الصغير، وكانت تُدرِكُ عمق الصداقة القوية التي تربط زوجها الطيب بالقرد، وهذا ما دفعها إلى التفكير بـخطةٍ للتخلص منه إلى الأبد.

ما هي إلا أيام قليلة، حتى أخذت زوجة التمساح الخبيثة تتظاهر بالمرض الشديد، وتوقفت تماماً عن تناول الطعام مهما كان شهياً، وعلى الرغم من قلق التمساح الطيب الشديد، ومحاولاته الكثيرة إقناعها بتناول بعض الطعام، إلا أنها أصرَّت على ألا تتناول أي نوع من الطعام إلا قلب ذلك القرد الصغير، وهي تكرر القول:

هل يمكنك أن تتخيل كم هو لذيذُ قلبُ ذلك القرد الصغير يا زوجي العزيز!

كان التمساح الطيب يجيب في كل مرة، والألم يعتصر قلبه:

ليس من الشهامة أن أخون صديقي الوحيد.

لكن زوجة التمساح كانت تعرف دوماً كيف تحتال على زوجها الطيب، وهي تقول باستياء:

وهل من الشهامة أن تتركني أموت جوعاً يا زوجي الحبيب؟! ألا يستحق شفائي من هذا المرض العضال أن تتخلى عن صداقة ذلك القرد الصغير؟

وأمام إلحاح زوجته المرهق ومرضاها العسير الذي تدعيه، لم يكن لدى



التمساح المسكين أي خيار آخر إلا أن يُحضر لها قلب القرد الصغير، مُتّبِعاً
خطتها التي لم تخطر له يوماً.

على مَضَض، هرعَ التمساح الطيب إلى لقاء صديقه في الموعد المعتاد،
وقال له، والألم يعتصر قلبه الحزين:

أنا وزوجتي الحبيبة ندعوك إلى تناول العشاء في منزلنا هذا المساء. لم
تتوقف زوجتي قط عن اتهامي بالبُخل الشديد لأنني قصرتُ معك أيها
الصديق!

ضحكَ القردُ الصغير، وأجاب بابتهاج، دون أن يخطر له لحظةً واحدة
ما يُخططُ له الزوجان:

حسناً يا صديقي الوفي! يُسعدني أن أقبل دعوتك ودعوة زوجتك
الودود، لكنني لا أجيد السباحة، ومنزلك على الضفة المقابلة من هذا
النهر العميق، فكيف يُمكنني المجيء؟
أجابه التمساح بخجلٍ شديد:

لا تقلق أبداً يا صديقي العزيز! تستطيع الجلوس على ظهري بأمان،
وسأخذك بنفسك للقاء زوجتي الحبيبة التي أعدت لنا كثيراً من الطعام.
في الحال، قفز القرد الصغير على ظهر التمساح، وجلس باسترخاءٍ
تام، وأخذ يرقب معالم الطبيعة الآسرة من حوله، وقد بدأ صديقه
بالسباحة.

في وسط النهر الهادر، ظنَّ التمساح الأحمق أنه يستطيع الآن أن يكشف
نيته الحقيقية للقرد الغافل، لعله بذلك يُخفف من تأنيب الضمير، فقال
بسداجةٍ بالغة:

زوجتي تعتقد جازمةً بأن مذاق قلبك الصغير شهّي جداً، لأنك تأكل تلك الثمار الحلوة كل حين.

صعق القرد الصغير بسماع هذه الكلمات المخيفة، وتصوّر من فوره ما يمكن أن تؤول إليه الحال إن لم يُخرج نفسه من هذا المأزق المُرّيع. بقي القرد الفطين هادئاً تماماً، وهو يفكر في الأمر ملياً، ثم قال:

لماذا لم تخبرني بذلك مبكراً يا صديقي العزيز؟! سيكون لي الشرف أن أبرهن لزوجتك الكريمة على أن طعم قلبي الصغير لذيقاً حقاً.

نظر إليه التمساح الساذج بارتباك شديد، وهمّ بأن يسأله عن قوله المبهم هذا، لكن القرد الذكي أردف دون إبطاء:

أتذكر تلك الشجرة العظيمة التي التقينا عندها أول مرة؟ لقد اعتدت أن أترك قلبي الصغير داخل جذعها الضخم كل مساء.

في الحال، توجه التمساح الأحمق نحو الشجرة العملاقة، وهو يخاطب القرد الصغير، قائلاً:

شكراً لك يا صديقي العزيز لأنك أخبرتني بهذا السر الخطير قبل فوات الآوان. لن ترضى زوجتي الفطنة أبداً بوقوع مثل هذا الخطأ الجسيم.

ولمّا وصلا إلى ضفة النهر الشرقية قفز القرد الصغير من فوره، وتسلق الشجرة العملاقة حيث منزله الآمن، واختفى عن الأنظار.

طال انتظار التمساح الساذج، فصاح بأعلى صوته، وقد نفذ صبره:

أين أنت أيها الصديق؟! سيبرد طعام العشاء، ولن تكون زوجتي الحبيبة سعيدة أبداً.

أطلَّ القردُ الصغيرُ برأسه من أعلى الشجرة العملاقة، وقال ضاحكاً:
أرجو أن تُخبرَ زوجتك الودود بأنني لم أحبّ طعام التماسيح قطّ،
وبأنّ ثمار هذه الشجرة العظيمة أحبّ إليّ من أيّ طعام، أمّا قلبي اللذيذ
فسيبقى لي وحدي، ولن أشارك فيه أحداً. لقد علّمتني اليوم درساً لن
أنساه ما حييتُ أيها المُخادع!

لم يكن أمام التمساح أيّ خيارٍ آخر إلا العودة إلى بيته الرطب، وهو
يجرُّ أذيال الخيبة كي يُخبر زوجته الشريرة بأنّ خطّتها قد أخفقت
أيّما إخفاق.

الفهرس

٥ حولُ المجموعة
٧ السُّلْحَفَةُ الثَّرثَارَةُ
١٧ بَيْنَ الرَّيْفِ وَالْمَدِينَةِ
٢٩ التَّمْسَاحُ وَالْقَرْدُ

د. ميساء زهير ناجي

- إجازة في طب الأسنان من جامعة دمشق.
- عملت في وزارة الصحة رئيسة قسم صحة الفم والأسنان في مديرية الرعاية الصحية الأولية، ومديرة مركز تطوير موارد التعليم والتعلم الصحية.
- نفذت ورشات عمل ودورات تدريبية عدّة حول تعزيز الصحة العامة وإعداد موادّ التوعية والتدريب الصحي وإنتاجها.
- ترجمت وكتبت عدداً من الحكايات القصيرة للأطفال واليافعين ضمن مطبوعات وزارة الثقافة/ الهيئة العامة السورية للكتاب.
- أعدت كتاباً، ونشرت مقالات أدبية عدّة حول نشأة أدب الحكايات الخيالية وتاريخه.

٢٠٢٢ م